FOURTH EUCHARIST
كابوس
القربان الرابع

كتاكومب

《 القربان الرابع 》 .

رواية

محمود السقا

إهداء

إلي ذلك الطفل الضاحك بهيستريا مرعبة والذي يريد دائما التواصل معي كلما مررت بجانب قبره، لقد احترقت لعبتك التي تريدها منذ ثلاثة عقود.

مقدمة

أبي لا تخشي علي من تلك الروايات، فأنا لم أعد صغيرًا لأخاف كالأطفال. أنها مجرد هواية وتسلية فقط.

- يا بنى أنت لم تتعدي منتصف عقدك الثاني، لابد أن أحذرك من التوغل في تلك الروايات المرعبة المليئة بالطلاسم.

أجبت بابتسامة بسيطة: أنها ليست حقيقة، هي فقط تُعطي للرواية الرعب المطلوب، ولكي تطمئن أكثر فأنا لا أقرأها .

(1)

عدوت إلى الغرفة، أنفاسي مضطربة ، خائف أن يكون حدث ما يجوب ذهني، فُتحت الغرفة بسهولة هذه المرة، بدت ملامحها في الظهور أمام عيني، تملؤها رائحة نفاذة، أرهقت ذاكرتي قليلًا في محاولة مني للتعرف عليها ، علمت ما هي في نهاية الأمر أنها كرائحة الكبريت المشتعل. بحثت عنه لم أجده بداخل الغرفة، لا أعلم إلي أين ذهب؟ ، لكني رأيت بقعة سوداء صغيرة في وسط السرير، خطوت بقدمي للأمام بخطوات السلحفاء لكي أمعن النظر بها، حجمها يتقلص بسرعة رهيبة. وما أن وصلت لها حتي باتت سراب، اختفت كرائحة الكبريت التي اختفت هي الاخرى. اصطدمت قدمي بشيء أسفل السرير، كُتيب صغير كنت علي وشك معرفة ما يكمن بداخله، حتي سمعت صراخ عالي من الشارع الذي أقطن به. تمعنت النظر قليلًا من شرفة الغرفة، رأيت تجمعات كبيرة من رجال ونساء يتلفظون بقول " لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله" لم أعرف سبب تجمعهم الكبير ، لذا وضعت الكتيب في درج مكتبي بغرفتي ، وعدوا لأسفل لأعرف ماذا يحدث بالأسفل.

(2)

إلي من يقرأ أولي مذكراتي هذه، هناك تنويه في نهاية تلك المذكرة يجب عليك قرأته عندما تنتهي من قراءة ومعرفة قصتي الغريبة.

بيدٍ مرتجفة، وقلب ينبض باضطراب، وحياة علي وشك المحك أكتب إليك قصتي التي ظننت في بداية الأمر أنها ستكون ممتعة حتي تحولت إلي النقيض وباتت أكثر رعبًا.

لن أطيل عليكم المقدمات، فأنا شخص معرض للموت في أي وقت، ولم أحبذ أن أُقتل فقط، أريد من الجميع أن يعرف قصتي.

أنا آدم محمد الحدادي، قضيت من عمري خمسة عشر عامًا، لا أعلم أن كنت سأعيش أكثر أم لا؟ قضيت حياتي المرفهة علي شواطئ الإسكندرية. أعيش وسط بحرها، أستنشق عطر نسائم رياحها. يكفي فقط أن تجلس علي الشاطئ وتحتضن بين أنامل أصابعك رواية، تعيش بين شخصياتها، وتزور كل أماكنها، وتسحرك أحداثها الممتعة، لتغوص بعقلك داخل أعماق متاهتها.

كنت أعيش تلك الحياة الجميلة حتى أشتد المرض علي أمي، أصبح نبض قلبها ضعيف للغاية، وكلما قل نبضها تزيد ضربات قلبي خوفًا

من الفراق. يكفي أنه سيكون فراق بلا عودة. كانت تعيش علي أجهزة التنفس دائما، أبي كان يسعى جاهدًا لتوفير المال اللازم لإجراء عملية لها بأسرع ما يمكن ولكن مبلغ محاسب بسيط في مصنع حكومي لن يكفي. وبتدبير إلهي هناك من أخبر أبي عن شركة كبيرة خاصة ستبدأ أولي استثمارها في محافظة أسيوط. وتبحث عن محاسبين براتب أكبر بكثير من الراتب الحكومي. لم يطيل أبي الانتظار وشد الرحال لأسيوط ، ليعمل بتلك الشركة أملًا في توفير مقدم للعملية، ولكن كما يقولون تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن. بعد أسبوعين فقط من شغل والدي في الشركة توفت أمي بين ذراعي، كنت أشعر بقلبها يصارع من أجل البقاء. سيظل آخر حوارنا معًا أصعب حوار في حياتي. قالت بصوت متقطع تشهق من أجل خروجه: بنى لا تعصي لوالدك أمرًا، وعليك بطاعة ربك فأنها من ستنير مرقدك المظلم، وعليك بالقرآن فأنه خير صديق....

أردفت قائلا: جرا ايه يا ست الكل بتقولي الكلام ده ليه دلوقتي؟..

حتي سمعت منه بصوت مبحوح " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. وشهقت شهقة طويلة وأرتخي رأسها علي ذراعي.

ماتت من كان يرزقني ربي لأجلها، ماتت من كانت تسمع بكاء قلبي عندما تتكبر عيني علي الدموع، ماتت أجمل ضحكة، وأنقي روح

،ماتت من كنت أخشي فراقها عني، أصبح عقلي يستهوي الوحدة، وجسدي يرفض العُزلة في المنزل بدونها، وبين هذا وذاك روحي يغمرها الارهاق.

بعد موت أمي بأسبوع :

-ابويا قال لي أنا وأخي : انا خلاص شوفت شقة كويسة في قرية(....) جنب شغلي. هتقعدوا معايا فيها . عشان تبقوا جنبي لأن مينفعش خالتكوا تهتم بيكوا أكتر من كدا. وكمان مش هينفع أسيب الشغل هناك دلوقتي.

رديت بوجه غاضب: طب والمدرسة والدراسة هنعمل فيهم ايه؟!.. كان مجرد حجة بسيطة كي لا أترك محافظتي وأصدقائي، مجرد حُجة غبية، فأبي يعلم جيدًا أن أخر ما يشغل عقلي هي الدراسة.

رد أبي بابتسامة وقال: متقلقش انا بخلص في إجراءات نقل ورقكوا لمدرسة هناك.

أجبت في سرى: من كتر حبى في المدرسة يعنى.

لم يمر يومان وانتقلنا لتلك الشقة الموعودة ، كانت في أحدي قري أسيوط، وسط المساحات الخضراء التي تزين الريف. الشقة توجد في الطابق الثالث، ذات طراز قديم قليلًا، مكونة من غرفتين،

وردهة واسعة بها طاولة الطعام وتلفاز متوسط الحجم، الغرفة في واجهة الردهة هي لأبي، علي يمينها ممر طويل نسبيًا حيث تقبع غرفتي أنا وأخي (آسر) الذي يصغرني بسنة ونصف علي أحدي جانبي الممر، وعلي الآخر يوجد حمام صغير، وينتهي الممر بغرفة المطبخ. لم يستهويني شيء في تلك الشقة سوى غرفتي التي تطل علي بحيرة صغيرة.

في أول يومٍ كنت أشعر بالملل من الجلوس في الشقة لم أعتاد ذلك، لذا ذهبت كي أستأذن أبي في الخروج قليلًا لم أدري إلي أين؟ فقط كنت أريد الخروج.

- متفكرش سهرك برا هينفع هنا. المنطقة هنا أرياف والناس بيناموا بدرى.
- متقلقش هنزل أقعد تحت شوية وأطلع.
- طب متروحش في أي حته بعيدة. سمعت الكلام ونزلت.

الشوارع يسودها الصمت والظلام، جلست أمام برج العمارة. وشغلت قصة لأحمد يونس ولبست السماعات في أذني. وسندت رأسي على الجدار، أغمضت عيني لكي أعيش أجواء قصة الرعب جيدًا، حتي تملكت مني أحداثها. وفي لحظة شعرت بيدٍ تلمس كتفي، فزعت من شدة الخوف، وفتحت عيني، رأيت ثلاثة شباب أعمارهم

تتقارب من عمري. أحدهم قال: ليك حق يا 《 آدم》 تبقا في عالم تاني كدا وانتا بتسمع احمد يونس.

- أنت مين؟ وعرفت اسمي منين؟!

- المنطقة هنا مفيش حاجة فيها بتستخبي. عارفين كل حاجة عنكوا من قبل ما تنقلوا . نسيت أعرفك بنفسي ، أنا (عُمَر)، والطويل ده يبقا (احمد)، والتاني ده (حسن). وطالما بتحب الرعب يبقا تنفع تكون صاحبنا الرابع، ده غير أن المنطقة هنا هتساعدك تعيش في جو الرعب أكتر من شدة الهدوء والضلمة اللي حواليك.

- فعلا المنطقة هنا هادية جدا. وانا مبسوط أوى إني أتعرفت عليكم في اول يوم ليا هنا. أصل كنت حاسس أنى هفضل لوحدي. وكنت مفكر محدش بيخرج هنا. أصل الشوارع فاضية خالص. وكمان خفت مفهمش لهجتكم هنا.

غمرهم الضحك حتي أجاب أحمد: لا متقلقش بنعرف نتكلم بكل اللهجات ولو تحب نتكلم لغات كمان نتكلم، وكمان بنخرج ونسهر ذي عندكوا . وهتطلع معانا بكرا كمان اول طلعة. هنروح مكان هتحبه جدا.

- فين؟!..

يا آدم يا ادم اطلع بقا عشان تنام..... ده كان صوت ابويا بينادى عليا. بصيتله ورديت عليه قولتله حاضر طالع اهو.. وبلف وشى تانى ملقتهمش اتبخروا. معرفش راحوا فين.

- بعدها طلعت الشقة وانا مبسوط انى إتصاحبت على شباب من سنى. ابويا قالي: نام علطول عشان هتروحوا المدرسة بكرا عشان تلحقوا تذاكروا قبل الامتحانات.
- رديت عليه وقولتله : حاضر يا بابا. هنام علطول أنا تعبان من السفر أصلا..

عندما خطت قدماي داخل الغرفة، كان أخي (آسر) في سابع نومة، مددت جسدي على السرير حدثت نفسي وقولت: أكمل القصة بقا في الهدوء ده.

لكن غلبني النعاس وذهبت إلي كابوس مخيف حيث رأيتني أقف أمام شباك غرفتي وكانت السماء تميل إلي اللون الذهبي الشهير بوقت الغروب، تستمتع عيني بالنظر إليها، تذكرني بالإسكندرية وجمالها وجمال شواطئها ، وصوت أمواجها، ورأيت أخي من الشباك يلعب في البحيرة التي أمام البيت، وفي وهلة بدأ يغرق، وهناك شيء يسحبه لأسفل، عدوت بأقصى سرعتي من الشقة كي أستطيع انقاذه . سبحت للمكان الذي من المفترض أن يكون فيه، لكنه غير موجود ، فضلت انادي عليه يا آسر يا آسر.

بدأت حاجة تشدني من رجلي لتحت. كانت يد كبيرة بدأت تسحبني لأسفل. كانت قوته اكبر من قوتي . مش عارف افلت من ايديه . جسمي كله بقا تحت المايه . حسيت انى في بحر ملوش قاع. نَفَسى بدا يروح منى. وكنت أعافر بأيدي عشان اطلع على وش المايه. ومرة واحدة لقيت ايد تانية بتشدني تخرجني من المايه. صحيت من الحلم لقيت نفسى في اوضتي. او بمعنى أصح كنت في نص الأوضة. كان جسمي وهدومي كلهم مايه. معرفش هو دا كان حلم ولا كان حقيقى. بس اخويا كان مكانه في السرير لقيته مغطى وشه زي العيال الصغيرة وسامع صوته من تحت البطانية بيرتعش . قربت منه وشغلت البطانية من على وشه عشان اشوفه كان صاحي ومفتح عينه.

-انا: مالك يا آسر؟! .... بترتعش كدا ليه؟!

- رد وقالي: شكلك كان يخوف. كان شكلك مرعب. معرفش كان ايه اللي حصلك ده.

-انا: شكلي انا!!!.... هو ايه اللي حصل بالظبط ؟ شفت ايه؟

-رد وقالي: انا كنت نايم وسمعت صوت خبط على باب الأوضة. صحيت لقيتك بتخبط بدماغك على باب الأوضة.

كنت بتخبط دماغك بطريقة مرعبة، نديت عليك مردتش عليا. وباب الأوضة اتفتح لوحده من غير حتى انتا متلمس الأوكرة. والله العظيم اتفتح لوحده زى ما يكون حد فتحلك الباب من برا انا اتخضيت من فتحة الباب بالسرعة دي. وانت بعدها فضلت ماشي وروحت ناحيه الحمام. فضلت انادى عليك بصوت واطي عشان كنت خايف. بس انتا مكنتش بترد. وبعدها استجمعت نفسى وروحت وراك وانتا وقفت قدام باب الحمام . ولفيت وشك وبصتلى كان شكلك غريب وعينك مبرقة وفى ظرف لحظة كان باب الحمام اتفتح وايد شدتك لجوه والباب اترزع تانى. طلعت أجرى افتح الباب مكنش بيتفتح. كنت سامعك وانتا جوا بتتكلم بصوت غريب. صوت اجش مرعب. وانا مش فاهم ايه اللي بيحصل. لسه بجري ورايح لأبوك اصحيه. سمعت صوت خبطة على باب الحمام من جوا. كذبت نفسى . بس سمعتها تاني وتالت خبطة هادية بس مرعبة. باب الحمام بعدها اتفتح بهدوء وصوت صرير مرعب . بدأت تخرج من الحمام جسمك كله مايه. مع إني مسمعتش صوت الدوش اتفتح. معرفش انتا كان جسمك كله مايه منين. كان ظاهر وراك ظل اسود حجمه كبير ملوش ملامح . بدأت تقرب منى كنت بتمشي زي ما تكون منوم مغناطيسا وانا

بدأت ارجع بضهرى لورا لحد ما وصلت لباب الأوضة. وانتا كنت بتقرب اكتر والظل ماشى وراك. معرفش لاراديا شديتك لجوا الأوضة وقفلت الباب من جوا. بعدها بدأ خبط على باب الأوضة مع اول خبطة روحت على السرير وغطيت نفسى بالبطانية شبه العيال الصغيرة .وبدأت احط ايدي على ودنى عشان مسمعش الخبط. بس كنت برضو سامعه. كانوا تلت مرات تلت مرات كان قلبى بيقف مع كل خبطة. وبعدها الخبط وقف ولقيت هدوء كنت خايف ان الظل اللي شفته وراك ده يكون دخل الأوضة. ولقيتك بتشد البطانية من عليا كنت مفكرك هو لحد ما شفتك.

أخبرني أخي بهذا الكلام الغير منطقي، لكن ربما صدقته لأن دائما الأطفال لا تكذب أو هذا ما أعرفه. واتفقت معه ألا يخبر أبي بما حدث حتي لا نقلقه. وبدأت أهدي من روعه قليلًا حتي دخل في سبات عميق مرة أخري.

بدلت ملابسي المبتلة وجلست علي سريري أحارب خوفي، نعم أقرأ كثيرًا عن تلك الامور ، لكني أقرأها لأتغلب عن خوفي منهم. اللعنة علي حكايات الأجداد للأطفال . يظنون أنها مجرد حكايات مسلية يتسابق الأطفال في سماعها، لكن حتي الأطفال يملكهم الكبر، فلا يبوحوا بخوفهم أطلاقا.

هل ما حدث حقيقي أم مجرد وهم؟، سؤال سيطر علي تفكيري آنذاك. لا أستطيع الإجابة، بل لا أستطيع التفكير بسبب ساعة الحائط اللعينة، يخطو عقربها بصوت هادئ مستفز أكثر منه مرعب، إضافة إلي صنبور المياه تتسرب منه قطرات ماء، أستطيع سماع صوت ارتطامها بالحوض. لم أحظي بالشجاعة الكافية لأرهق نفسي وأقوم بإحكام غلقه. فأنا أجبن من أن أغادر موضعي. لم أنعم بالراحة سوى علي صوت الفجر. واستطعت حينها النوم.

في اليوم التالي أيقظنا أبي بعد معاناة صوته.

- **أخيرا صباح الخير!!. واضح انكوا نمتوا متأخر؟؟**

لسه اخويا بيتكلم قاطعته وقولت: لا أبدا بالعكس ده أحنا نمنا كويس، هو بس السفر كان تعبنا شوية، وعلي فكرة قبل ما أنسي حنفية المايه طول الليل كانت بتنقط شكلها عايزة تتصلح.

أبي قال بعد نظرة إندهاش: مفيش حنفية بتنقط انا متأكد. اكيد مكنتش مقفولة كويس. بس انا لما صحيت مكنش فيه حنفيه بتنقط.

ويالا البسوا بسرعة عشان ألحق اروح معاكم المدرسة اخلص بقية الورق عشان اروح شغلي من هناك.

وأخيراً رأيت ملامح القرية نهارًا، لم نأخذ سوى بعض المنعطفات حتي دخلنا في طريق أسفلتي طويل، المساحات الخضراء تزين كلا جانبيه، بعد فترة مشي ليست بالقصيرة رأيت مقابر البلد بجانبها بمسافة لا تتعدي الخمسون مترًا. عندما خطت قدمي داخل المدرسة كنت أبحث عن عمر وحسن واحمد لا أعرف سواهم الآن. لم أتوصل لهم ولا أحد يعرفهم . حتي أخبرت نفسي أنهم قد يكونوا في مدرسة خاصة .

اليوم كان ممل وأنا وحيد وسط مكان جديد. كنت أشعر بالضيق. قضيت اليوم الدراسي ولم أعرف سوى طريقي للسرير. ولم أستيقظ غير مع بداية الليل، هرولت للجلوس أمام البيت قليلًا ربما يأتي الأصدقاء ونخرج كما أخبروني . جلست ساعة وآخري مثلها ومثلهما حتي مللت الجلوس وحيدًا يتخطاني المارة من حين لأخر. حتي ظهرت ملامحهم من بعيد، ثلاثة شباب يتخطوا الضباب كرماح يونانية، كلما اقتربوا تلمع ملامحهم وتصبح أكثر وضوحا. يظهر عليهم الشجاعة والهيبة علي رغم صغرهم.

بنبرة إسكندرانية عصبية قولت: مستنيكوا تيجوا من بدرى على فكرة.. معرفش ليكوا مكان ولا اعرف بيت حد فيكم..

- عمر: احنا مش بنطلع غير في الميعاد ده. والنهارده هتعرف المكان اللي بنتجمع ونسهر فيه.

- انا رديت بكل حماس: أخيرا . ده الواحد كان حاسس أنه هيخلل من كتر القعدة لوحده، بس الوقت اتأخر النهاردة!!
- حسن: ده الميعاد اللي بنبدأ فيه. مش هتعرف تيجي وابوك هيخاف عليك بقا انتا حر ..
- انا : لا طبعا انا مش صغير عشان يخاف عليا. طب ثواني هطلع اقوله طالع برا شوية عشان ميقلقش عليا.

طبعا طلعت لأبويا واقنعته بالعافية انه يرضى اخرج شوية.

-ابويا: اصحابك مين اللي هتطلع معاهم دول. انتا لحقت تصاحب حد!!
- انا: ايوا يا بابا اتعرفت عليهم. وهنخرج شوية ونرجع علطول.
- ابويا: خلاص روح ومتتاخرش هي ساعة وتكون هنا. انتوا هتروحوا فين صحيح؟
- حاضر مش هتاخر. مش عارف هما اكيد عارفين كافية مفتوح او قهوة نقعد عليها.

- انا: هاا هنروح فين بقا؟! بلايستيشن ولا كافية ولا فين بالظبط.

- احمد: يالا بينا. تعاله معانا وهتعرف .متستعجلش كلها شوية ونوصل.

ظللنا نمشي تارة بخطوات سريعة وأخري بخطوات بطيئة. لا أعلم إلي أين نذهب ، كنت أشعر أننا في طريق عهدته من قبل، حتي بدت التيقن أنه نفس الطريق لمدرستي الكئيبة، والذي بدوره نفس طريق المقابر.

-انا: ده طريق المقابر!! .... احنا رايحين فين بالظبط.

-عمر رد عليا بابتسامة: ما احنا رايحين المقابر. بنسهر هناك. هتسهر سهرة عمرك في حياتك ما هتسهر زيها.

بدأ قلبي يدق على آخره من اللي سمعته ده. ورديت عليه : مينفعش نسهر في المقابر غلط، وبعدين بالليل وانتوا عارفين المقابر بالليل ايه اللي بيحصل فيها.

-عمر رد عليا وقالي باستهزاء كأنه ولا همه: ايه اللي بيحصل فيها يعنى!! ...قصدك على العفاريت وكدا. طب ما احنا عفاريت دايما الناس بتقولنا كدا .. انتا خايف ولا ايه؟!

-انا انا بدأت اتهته في الكلمة واقول في سرى: اومال مخفش ازاي دي مقابر.

لا مش بخاف هيحصل ايه يعنى!!! .

لن أكذب عليكم أكثر ما كان يطمئني هو وجودي معهم، أدركت لوهلة كأنهم يعتادوا الأمر فلم أضطرب وسرت كما يسير قطيع الذئاب، وقلت في نفسي " ربنا يستر وتعدى على خير".

- بعد فترة وجيزة ردفنا إلي المقابر، مقابر مُتراصة بشكل عشوائي، يتخلل الظلام الضباب فيعطي صورة لك بداخل عقلك بأن يجب أن أعدو هاربًا، لقد فكرت في ذلك بالفعل. الضباب مع توقيت الليل ودقات قلبك المتسارعة ربما يجعلك تشعر بالبرد القارس. وفي لحظة شهيقي وزفيري المرهقين قال عمر بصوت قوي يرنو صداه كل المنطقة: ازيكوا يا سكان هذا المكان. عارفين انكوا بتسهروا لوحدكوا بالليل فقولنا نيجى نسهر معاكوا.

أخذ الأمر مني ثواني من تفكيري. لقد قال حقًا تلك الكلمات. لا أعرف هو شجاع بما يكفي لقول ذلك أم أنه مجرد منظر استعراضي (شو إستعراضي) ليبرز لنا هيمنته علينا!. لكن ما كنت متأكد منه أننا سنموت بسبب أفعاله. ظللنا في طريقنا نخطو بجانب قبر والآخر ومع كل خطوة اتوقع سيناريو فلم رعب بداخل عقلي ، لكن لم يحدث شيء حتي وصلنا لشجرة كبيرة ، أغصانها عريضة ويكسو هيئتها الرعب، بجانبها منطقة تصلح لجلوس أربعة مراهقين. جلسنا

أسفلها يبعد عنا عمود نور كهربائي مسافة اثنين متر تقريبًا ربما أزيد قليلًا...

-انا: ايوا احنا جينا اهوو هنعمل ايه بقا؟

ذهب حسن لمكان خلف الشجرة وحفر قليلًا بخشبة صغيرة، وأخرج براد شاي موضوع بداخل كيس، وصندوق صغير الحجم يحوي بداخله سكر وشاي.

- احمد: ايوا كدا يا صاحبي خلى السهرة تحلو. انا هروح أجيب مايه من الطرومبة (هيكل معدني يستخدم في خروج المياه من باطن الأرض) انا وآدم .

نزلت الجملة علي مسمعي وجحظت عيني بالنظر له، لم أجد مفر منه. بعد وهلة من طريقنا للمكان المنشود شعرت بالراحة ولكنها لم تدم طويلًا. سمعت صوت طفل يضحك بصوت عالي، بحثت عن مصدر الصوت لم أجده، تكرر الصوت مرة أخري. قولت لأحمد: سمعت الصوت اللي سمعته.

-احمد: صوت ايه انتا هتخاف من أولها . مسمعتش حاجة.

ثواني معدودة أخري وتكرر الصوت ثالثًا قولت له بصوت مرتعش :لا ما انا كدا مش بخرف. فيه صوت لطفل بيضحك .والله سمعته بودني.

-احمد: كدب ودنك، حتى لو سمعته متشغلش بالك ودى نصيحة تاخدها منى. بحكم خبرتي من القعدة هنا. لأنك هنا هتسمع أصوات عمرك ما هتسمع زيها . ده انتا مش هتسمع بس . ده انتا هتشوف كمان. بس اي حاجة تشوفها او تسمعها تكدب نفسك ولا كأنها بتحصل.

- انا: هو انتوا بتقعدوا هنا علطول؟!

-احمد: يااااه داخلين على سنة اهوو. بدأنا نسهر هنا من ساعة ما قررنا اننا نخلى سهرتنا مختلفة عن باقي الناس، واننا نبقى عفاريت بجد زي ما بيقولوا علينا.....ادينا وصلنا.

وصلنا للطرومبة كما هم يطلقوا عليها كانت في آخر المقابر. ملئنا المياه الكافية وفي طريقنا للعودة سمعت صوت الطفل مرة أخري وهذه المرة كان ينادي بإسمي.. آدم.. آدم.. آدم لكن هذه المرة كانت نبرته أعرفها جيدًا . كان أخي من ينادي علي. الصوت بدا يقترب اكتر واكتر حتي ظننت أنه بداخل عقلي بنفس الكلمة آدم.. آدم نفس الكلمة آدم ..آدم. كذبت مسمعي مثلما أخبرني الواعظ احمد. أختفي الصوت تمامًا ، نظرت خلفي بعدما سمعت صوت خطوات وكالعادة لا شيء أو ربما يوجد وانا لا أراه. وبينما أنا أبحث عن صاحب الخطوات سمعت بجانب أذني من ناحية الخلف صوت أنفاس،

أنفاس مضطربة، ساخنة كصهد اللهب. قررت اني لن أنظر ورائي واكتفيت بأن أنادي علي صديقي الواعظ.

- احمد: خير يا آدم. نديت عليا فيه حاجة.

-انا: لا لا ابدا مفيش حاجة....

لم يكن هناك داعي أن أخبره بعدما انقطع صوت الأنفاس. انقضي الطريق سريعًا في العودة. رأيت عمر وحسن قد اشعلوا حطب وجالسين في انتظارنا،عمر قال: اتاخرتوا كدا ليه. انتوا روحتوا تاني بلد.

- احمد: لا متاخرناش ولا حاجة ده كان آدم بيحفظ الطريق عشان لما يروح بعد كدا لوحده. قالها وهو يضحك كالعادة..

- عمر: هنشوف هنشوف. يالا بقا حطلنا الشاى على النار.

وبدأنا نلعب بالكوتشينة علي مفرش صغير يفترش الأرض. لعبة الشايب اكيد الكل يسمع عنها. شخص واحد فقط من سيخسر. وستكون أمه بالتأكيد دعت عليه، لأنه سيطلب منه أحكام يجب عليه تنفيذها. بدأنا اللعب وتذهب رهبة المكان تدريجيًا من قلبي، لدرجة أني استمتعت بمذاق الشاي، لكنه كان جميل ذو مذاق لم أعهد مثله. وعندما اقتربنا من نهاية الجولة بعدما فرغ كوب الشاي، شعرت بمن يقف فوق

الشجرة. مرة أخري كذبت فيها نفسي حتي انتهت الجولة وكان ذو الحظ السيئ بيننا هو حسن. وبدأت اسمع اول حكم من أحمد : والله يا حسن يا اخويا مش عارف احكم عليك بأيه بس أنا جعان . فأطلع على شجرة الجميز دي هاتلنا شوية..

بدأ عمر يصفق ويضحك على الحكم. ويقول لأحمد : والله برافو عليك يبني .انا كمان جعان. وآدم كمان جعان ...صح يا آدم!!..... بدأت ابصله واتهته..ايوا ... ايوا انا كمان جعان.. بس اللي اعرفه ان الاغصان بتاعت الشجرة دي بتبقا ضعيفة. وكدا ممكن يقع من فوق!

-حسن : متخافش عليا. ده انا قرد اصلا....

وبدأ يطلع وهو ولا همه بصوت الاغصان اللي بتصدر صوت زي ما تكون بتقرب تنكسر كدا. لحد ما فيه غصن انكسر منه جزء ووقع على قبر....

-عمر قاله: انتا يبنى مش تحاسب صحيت الاموات اللي في القبر كدا وبيقولها وهو بيضحك كأنه بيتريق.

- احمد رد عليه وقال: لا دول صاحين من بدرى اصلا. اخلص بقا انزل كفاية كدا.

- حسن بدأ ينزل بس وهو بينزل الشجرة بدأت تتهز بطريقة غريبة. بتتهز جامد جدا مفيش قوة بشرية تقدر تهز شجرة

بالحجم ده كدا، ومكنش فيه هواء. حسن وقع من على مسافة بسيطة بس قدر يقوم تاني، الحطب بدا يترمى علينا وهو مولع. بقينا نجرى وانا قلبي بيقف من كتر الخوف حااسس ان فيه حاجات كتير بتجري ورانا . كتير جدا، الارض بتتهز من تحتنا. حسيت بكف كبير بيخبطني على ضهري. وقعت في الأرض من قوته وانا بصرخ، بدأت ازحف واحاول اقف تاني ومش عايز ابص ورايا اشوف اللي ضربني حتى، كنت عايز بس اخرج من المكان ده. بس على ما وقفت تاني من اول ضربة كان صحابى بعدوا ومش ظاهرين. فضلت أجرى ومش عارف طريق الخروج ومرة واحدة وقعت تاني على وشى. كنت أتكعبلت في حاجة مش شايف ايه هي. نورت كشاف الموبايل كانت جثة ايوا جثة بالكفن بتاعها. فضلت انور بالكشاف حوليا زي المجنون اشوف فيه حاجة لسه بتجرى ورايا ولا لا.... ملقيتش حاجة. همس خفيف في ودنى بيقولي " افتح الكفن.... افتح الكفن.... افتح الكفن" كلمتين عاملين زي صدى الصوت في دماغي..حطيت ايدى على ودنى عشان الصوت يروح وبرضو مرحش. وبدأت اكشف الكفن براحة وايدى بترتعش لحد ما ظهرت الجثة. كانت جثتي ، ركزت نور الكشاف على الوش عشان اتأكد كنت انا، وشى كله أزرق

وعيني مبرقة على الآخر وبوقي بيخرج منه دم... فضلت اقول لنفسي ده وهم ، ده مش حقيقي.

. سبت الكفن زي ما كان وطلعت أجرى وسمعت صوت الطفل اللي بيضحك تانى... وفجأة يسكت وأسمع صوت أخويا وهو بينادى عليا " آدم....آدم مش عايز تشوف أمك، أقدر اخليك تشوفها وتكلمها .....آآآددم " كنت عارف ان كل دي هلاوس بتلعب بعقلي مش هصدقها .

لحد ما طلعت من المقابر، وبعدها سمعت صوت من جوا المقابر كان صوت أمي عارفه جدا كانت بتقولي: تعاله يا آدم تعااله عيش معايا مفيش حد معايا هنا. تعااله.. بدأت ألف وشى تاني وارجع ناحية الصوت. بمشي برجل ورجل تانية بتقولي لا. لحد ما لقيت كشاف نور عالي جاى بسرعة وكان معاه صوت فرملة جامدة. انا حطيت ايدي على وشى واتصنمت مكاني مقدرتش اتحرك...

- السواق نزل من العربية وهو بيقولي: انتا عايز تموت يبنى. فيه حد يقف في نص الطريق ده بالذات كدا. المهم فيك حاجة.

-انا رديت عليه وقولت: انا بخير مفيش حاجة حصل خير الحمد لله.

- السواق: انتا ايه اللي جابك هنا يبنى بالليل كدا. انتا مجنون.. يالا نمشى من هنا بسرعة مينفعش نقف هنا في الوقت ده.

ركبت معاه لأني مكنتش قادر امشى ، وبدأ يسألني نفس السوال تانى... ايه اللي جابك هنا لوحدك في المكان ده؟

- أنا : بدأت اتهته وافكر في رد مقنع اقوله. أكيد مكنتش هقوله كنت جاب اسهر في المقابر. قولتله: حاجة عزيزة عليا وقعت منى كنت بدور عليها.
- السواق: دي حاجة ايه دي اللي تخليك تدور عليها فى وسط الليل وفى المكان ده؟
- انا: دا دا سلسلة..... ايوا سلسلة أمي الله يرحمها. الحاجة الوحيدة اللب فاضله من ريحتها وبتفكرني بيها.

بمجرد ما قولتله كدا لفيت وشي عشان ملامح الكدب كانت ظاهرة اوى على وشى. وشفت من شباك العربية واحدة واقفة شبه أمي كانت واقفة على جنب الطريق شفتها من الشباك ولما عدينا منها شفتها من مراية العربية. بلعت ريقي من الخوف كدا.

- السواق: طب..... قطعت كلامه وقولتله: انا هنزل هنا يسطى. بيتي في الشارع ده. الف شكر ليك.

نزلت من العربية ومستني السواق يمشي عشان عايز أجرى اطلع البيت بسرعة. لقيت السواق بيطلع راسه من شباك العربية وبيقولي: متروحش المقابر تاني بالليل. اصل امك تندهلك. وضحك ومشى....

طلعت البيت جرى، ومع أول خبطة على باب البيت ابويا فتح . وكان باين عليه انه متعصب

- انت أتاخرت كدا ليه؟؟ وكنت فين كل ده وتليفونك مقفول ليه مش عارف انى هرن عليك؟!
- رديت عليه وقولتله: كنا بنلعب بلايستيشن. ومقفلتش تليفوني اكيد مكنش فيه شبكة بس. مش هتتكرر تانى ان شاء الله.
- ابويا: لما نشوف!! ...ايه التراب اللي على كتفك ده؟
- انا: ترااب!!! ....اه هتلاقيه لما اتكعبلت ووقعت وانا جاى. عشان مكنتش شايف حاجة من الضلمة .....مفيش حاجة يا بابا متقلقش.
- ابويا: طب الحمد لله. ....ادخل نام بقا الساعة بقت واحدة ونص.

دخلت غرفتي كي أنام، لأنى حقا كنت أريد النوم وفقط. وكلما تغفو عيني أري ما مررت به ... كوابيس متكررة كلها تنتهي عند مشهد كفني، وكأن الموت ينتظرني عند مقدمة الباب.

فضلت ممدد على السرير لحد ما سمعت أخي يحدث نفسه وهو نائم ويقول " ماما....ماما انا كمان عايز اجي معاكوا أنتي رايحة فين وسيباني"

أظنه كان حلم ينتهي بالتعاسة . صارعت كوابيس النوم لأكثر من مرة، لكن لم تنجح محاولاتي. ولم أستطع النوم حتي شعرت بالظمأ الشديد، أخذتني رجلي إلي الثلاجة في المطبخ لكي أروي ظمائي. سمعت حينها باب يُفتح، تيقنت أنه باب الحمام لأن الصوت كان قريب. غادرت الثلاجة في حسرة من أمري كنت معدتي جاهزة لتنقض علي قطعة الفراخ التي بها. وصلت إلي باب الحمام طرقت عدة طرقات وأنا أنادي علي أبي.

- بابا انتا جوا!!

لم أتلقي رد كررت طرقي علي الباب مرة أخري .

- بابا انتا جوا ؟! آسر ؟!

لم يجبني أي من كلاهما ، قربت يدي من مقبض الباب حتي أفتحه، كنت علي وشك فتحه، حتي رأيت أبي يخرج من غرفته، يفرك عينه وهو يتثاوب. في مشهد كلاسيكي لكل البشر تقريبًا.

- بابا !! ، انته مكنتش في الحمام ؟

أردف أبي قائلا : حمام ايه يبني. انتا شايفني لسه طالع من الأوضة اهو.

- اومال مين اللي دخل الحمام لما كنت بشرب من المطبخ ؟ ، انا سمعت حد فتح باب الحمام ، ومتأكد انه دخل وقفل الباب وراه.

بنظره شبه تراني رد أبي : اكيد متهيألك ، حد مين غيرنا اللي هيدخل الحمام. وسع بقا خليني ادخل. وبدا يفتح الحمام وكان فعلا فاضي.

-ابويا قالي: شفت بقا اهو مفيش حد زي ما قولتلك اهو. ادخل نام بقا. وخف من الطلاسم اللي بتقرأها اللي مخلياك كدا.

دخلت غرفتي محاولًا نسيان ما حدث، حتي عرفت عيني معني النوم.

في صباح اليوم التالي استيقظت وامامي هرة سوداء اللون ، كثيفة الشعر، عيناها مليئة بالشر، ترمقني بنظرات حادة لا أعلم سببها؟. ربما شعرت باشمئزازي منها . لوحت بيدي لأرهبها قليلًا

وترحل عن سريري، لكنها لم تخاف ولم ترحل. فقط تنظر إلي بعمق لدرجة مريبة وخاصة من قطة سوداء لعينة. وأخيرا انقذني أبي من نظراتها عندما أردف داخل الغرفة.

- مين اللي جاب القطة دي هنا ؟

- سلامة عقلك يا حبيبي. انتا اللي دخلتها أمبارح. لما كنت أنا في الحمام.

- انا.... أنا مدخلتش حاجة. أنا دخلت نمت بعد ما انتا دخلت الحمام علطول.

- يبنى أنا وانا في الحمام إمبارح سمعت صوت باب الشقة اتفتح واتقفل تاني. نديت عليك انتا رديت وقولت : ده أنا يا بابا . كان فيه بس قطة بتخبط على باب الشقة شكلها جعانة فدخلتها.

ولما طلعت من الحمام لقيتها واقفة قدام اوضتكوا وبصتلي وجرت دخلت الأوضة علطول. بصيت عليك لقيتك نايم مردتش اصحيك.

- انا فعلا كنت نايم ومدخلتش قطط الشقة، وبعدين انتا عارف اني أصلا مش بحبهم.
- لما تيجي من المدرسة ابقا نام شوية ، واضح ان قلة النوم مأثره على دماغك.

لم أرد، لأن كلما كنت مُصر علي كلامي، لن يغير شيء من رأيه ولن يصدقني وسأصبح حينها انا المجنون الموهوم، الشخص الذي خرف عقله نتيجة هوسه بروايات الرعب . واكتفيت بأن أقنع نفسي بأني أعاني اضطرابات من قلة النوم، لكني متيقن تماما بأني لم أُدخل تلك اللعينة الشقة. حاولت جاهدًا أن اجعلها تخرج من الشقة ولكن باتت كل محاولاتي بالفشل أيضا. تركناها وذهبنا إلي وجهتنا، نعم أقصد بذلك المدرسة. بعدما رحل أبي إلي شغله فالطريق إلي المدينة طويل كما أخبرني.

بعد ظهر يومها عدت من المدرسة مرهق من قلة نومي، فالكوابيس لم أسلم منها . هرولت داخل غرفتي، وطلبت

من أخي : آسر القطة دي متدخلش الأوضة نهائي. ويا ريت لو تعرف تطلعها برا الشقة خالص.

- آسر: حاضر اي طلبات تانية ؟!
- أنا: اقفل باب الأوضة وراك. ومتصحنيش غير لما أصحى لوحدي.

لم تمضي لحظات طويلة إلا ورأيتني بداخل كابوس آخر جديد. رأيت شخص طويل، أطول بكثير من الشخص الطبيعي تقترب رأسه من سقف الغرفة ، يُغطي جسده قماش أبيض الذي يكسو كامل جسده عدا عينيه، وعددهم ثلاثة عيون،عينه تلمع في عتمة الغرفة ،كان

ذلك الشخص الذي لا أعلم ماهيته يقف أمام باب الغرفة، يقترب بخطوات ثابتة أمامي ، كلما أقترب بهتت معالم الغرفة وأصبحت شبه معدومة، تخطي الباب فأختفي الباب من خلفه وظهر ظلام، وهكذا كانت تختفي معالم الغرفة كلما أقترب من موضعي علي السرير، لا أستطيع الحركة ،قدمي ترفض الحركة لا تستجيب لأوامر عقلي، ويدي هي الأخرى لا تستجيب أيضا، حاولت الصراخ لكن لم يخرج صوت، وهو يقترب أكثر ومعالم الغرفة تختفي، بدأت أشاهد نفسي في الاستعانة بالقرآن الكريم، كان لساني ثقيل(اتهته) في البداية ولكنه كان ينشط كلما جاهدت في قراءة آية الكرسي، كان حينها قد أقترب مني مسافة تكفي لوضع يده علي صدري ، كانت كتلة صخرة ملتهبة تأكل في جسدي، وكنت كلما قرأت الآية كلما بعد عني حتي أصبح لساني بكامل حريته، فعلا صوتي بقول :" الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يوده حفظهما وهو العلى العظيم" كنت أرددها ثانية كلما انتهت، حتي تلاشي ذلك الشخص الشيطاني وعادت الغرفة إلي سابق عهدها، وتمكنت من تحريك يدي وقدمي. ظللت حينها أردد الحمد لله.. الحمد لله.

عندما وعيت جيداً ، رأيت تلك الهرة السوداء اللعينة داخل الغرفة. لم أشغل عقلي بها، كنت فقط أريد أن تنتظم أنفاسي بعد هذا الكابوس. لذا ذهبت إلي التواليت(الحمام) كي أغسل وجهي. ذهبت وتركت رأسي أسفل الماء لينعم ببرودتها قليلًا، رفعت رأسي ومسحت وجهي وبينها أنا مُقبل علي الخروج، لمحت في مرآة الحمام نفس الشخص الذي رأيته منذ لحظات لكنه لم يدم خمس ثواني واختفى كسراب . خرجت إلي الصالة لأجد أخي يقضي جلسته في مشاهدة أحدي الأفلام الكوميدية المملة.

- مش قولتلك يبنى القطة دي متدخلش الأوضة وانا نايم.

اخويا رد وقالي: وهى هتدخل ازاي وانا قافل عليك الباب من ساعة ما نمت ومفتحتوش تاني. وبعدين ده انا كنت لسه شايفها من شوية عندي دخلتلك امتا ؟

- قمت دلوقتي لقيتها واقفة على السرير.
- شكلها معجبة بيك ومش عايزة تسيبك. قالها ضاحكًا.
- يا ظريف! هو ابوك فين ؟
- دخل ينام بعد ما أكلنا علطول. كانت دماغه مصدعه شوية.... كنت هنسي فيه تلاتة جُم سالوا عليك ومشوا علطول.
- تلاتة مين دول، وكانوا عايزين ايه ؟

- هما كانوا تلاتة من سنك كدا. قالولي : اقولك تستناهم الساعة عشرة تحت البيت..... قولتلهم ثواني اصحيه مردوش ومشوا.
- انا: دول اكيد صحابي الجداد.... ده الساعة عشرة الا خمسة.... انا هنزل أشوفهم عايزين ايه وآجي تاني .
- طب متتاخرش اصل أبوك يصحى ويسأل عليك وبعدين انا هدخل عشان انام خد مفتاح البيت معاك.
- حاضر..حاضر.....

نزلت تحت البيت لم تنقضي دقيقة ورأيتهم أمامي. وجوههم يكسوه نظرة ادركها جيدًا. نظرة الحماس والجنان..

- عمر: يالا يا آدم هنتاخر.
- انا: يالا فين انا مش رايح أسهر في المقابر تاني. أنتوا سبتوني إمبارح لوحدي وسط المقابر وكنت هموت.
- احمد: النهاردة مش من الايام اللي بنسهر فيها في المقابر. المقابر ليها أيام محددة....
- واحنا مسبنكش لوحدك إمبارح..انتا اللي كنت متأخر وكنا بنجري وبنحسبك ورانا. قالها أحمد
- انا : أيام محددة!! .. أومال هنسهر فين؟
- عمر رد بكل حماس وقال: أوضة المقابر.
- انا: اهو فيها مقابر تاني.. لا مش رايح انا للمقابر تاني.

- حسن : انت خوفت ولا ايه؟! . دي مرة اللي جيت معانا فيها.. ومتقلقش الأوضة مش في المقابر دي أوضة التُربي بتاع المقابر. أوضة في مدخل المقابر . أكيد شفتها واحنا داخلين.

انا بدأت استرجع ذاكرتي وافتكر. مش فاكر انى شفت أوضة في مدخل المقابر. مش فاكر انى شفت حاجة من دي!... واحنا هنسهر فيها ليه.. ما نروح اي مكان تاني.

- عمر رد وقال : ومين قالك ان احنا هنسهر.

نظر حينها لأحمد وحسن وضحك ضحكة واحد مجنون. وكمل وقال: إحنا هندخل نعرف سر الأوضة دي إيه ونطلع تاني.

- انا : سر أيه ؟!. أكيد زي اي أوضة.
- أحمد رد وقال: الأوضة دي عمرنا ما شوفنا الحاج مندور بيقعد فيها. ودايما قافلها بقفل . أوضة زي دي يقفلها بقفل ليه ؟ . ده غير الكلام اللي بيتقال عليه من الناس. بيقولوا أنه بيجي فترة ويختفى محدش يعرف بيروح فين. ولا بيعمل ايه.
- عمر: بص يا آدم الأوضة دي الناس كلها بتتكلم عنها. غير إني حاسس إننا هنلاقي فيها حاجة كبيرة ممكن يكون كنز. إحنا هنروح النهاردة لأن عم مندور عارف اننا مش بنروح

المقابر في اليوم ده. هنكسر القفل بتاع الباب. وندخل ونشوف اللي جوا ونطلع تاني. ومفيش حد هيعرف أن احنا اللي كنا هناك.

- كنت متردد اني أروح بس للأسف وافقت. ايوا وافقت خفت يقولوا عليا جبان وخواف.

الرجل دائما يخشي التنمر عليه بالضعف ، أو أن يقال عنه جبان لذا يهرول نحو الموت بصدر رحب علي أن يكون هذا الشخص الضعيف.

ظللنا في طريقنا إلي المقابر البعض منا يشعر بالحماس، والآخر يضحك من تجربة شيء جديد، والآخر يتبع القبيلة كما تسير، وأنا لا أعلم هل ستمر الليلة بسلام أم لا؟!. كنت أتمني أن تمر بسلام. لكنها لم تكن كذلك. ظللنا نتسامر حتي وصلنا لوجهتنا المشؤمة. كانت الغرفة المنشودة في بداية المقابر كما أخبروني من الجهة الغربية. لا صوت غير نباح الكلاب والضفادع أحيانا ، الظلام يحوم بالمكان فيجعله أكثر رهبة. سُلط ضوء كشاف التليفون لأظهر بعض معالم الغرفة ، كانت ذات طابع متهالك، الجدران متهالكة توقعت حينها أنها من الطوب الأبيض مليئ بالإسمنت الكافي ليعطيه الصلابة الكافية ، والسقف من بعض الأخشاب الخفيفة يعلوها بعض القش الذي أدرك تماما أنه يحوي الكثير من الأفاعي المختلفة. الباب صغير الحجم مغلق بقفل صغير، أظن كانت تكفي قدم واحدة ليتهشم

ذلك الباب كاملا. تناول عمر وحسن قالب طوبي وبدأوا في كسر القفل. ثلاث مرات كانت كافية لكسره.

لندلف بعدها داخل تلك الغرفة، بدأت في دوران الكشاف يمينًا ويسارًا لكشف ما بالداخل. لم تكن تحتوي علي شيء مميز، كنبة صغيرة بجانبها فأس خشبية، والأرض تفترش بحصير صغير. عمر كان علي وشك الجنون لم يعثر علي ما كان يتمني، حتي خطت قدم أحمد علي شيء أحدث صريرًا عاليًا، ازحنا الحصير من الأرض لنري بابًا مربع الشكل مكتوب عليه بلون أحمر يشبه الدم كلمات غريبة، ورسومات أغرب تُشبه الرسومات الهندسية والكلمات تقترب من كلمات التعاويذ التي أراها في كُتب الرعب .

بدأ عمر يقول: مش أنا قولتلكوا ان فيه كنز. ده شكلها آثار كمان.

لم آبه بكلامه، وفتحنا الباب لأعلي كان يوجد سلم خشبي يؤدي لأسفل الأرض. نزلنا الواحد تلو الأخر حتي وصلنا لسرداب مُظلم رائحته كريهة لدرجة لا تُطاق. تقدمتهم لأني الوحيد من يملك كشاف، أنرت بالتليفون علي جانبي الكشاف لنري عرضه وطوله، كان عرضه يقرب المترين، أما طوله فلم نري آخره. مشينا خطوات نكتشف ذلك السرداب النتن، كانت جدرانه مليئة بتلك الطلاسم المشابه لبابه. كلما خطونا خطوات أكثر كلما زادت الرائحة الكريهة، حتي خطت قدمي علي شيء سمعت صوت تهشمه أسفل

قدمي. بدأت يدي الحاملة للكشاف ترتعش وهي تقترب من موضع أسفل قدمي، حتي رأيت جمجمة عظمية قد تهشمت كليًا. رجعت للوراء بشكل تلقائي من الفزع. رفعت الكشاف في الأرض قليلًا لأري مئات الاكفان متقطعة وخارجها عدد لا يحصي من الهياكل العظمية . شهقت شهقة عالية بعد ما لفظت ببعض الكلمات البذيئة من فمي، ونظرت خلفي لكي أخبرهم بأن يجب ان نرحل، لكني لم أري أي منهم حتي ظننت أنهم تركوني مرة أخري.

وفي وهلة نور الكشاف انطفئ . أصبح المكان كالقبر حينها، فأنا موجود بداخل سرداب أسفل الأرض وحيدًا بجواري مئات الجثث والتي بالتأكيد أرواحهم تحوم حولي الآن. أحسست بحرارة عالية تلحف وجهي، حتي ظننت أنه لوهلة انه الجحيم. لم يدوم الصمت طويلًا حتي سمعت من يتحدث بجانب أذني ، همس بكلمات غير مفهومة لأصوات مختلفة. قلبي بدأ ينبض بشدة قدمي لا تقوي علي حمل جسدي المرتعش. نديت بصوت خافت: عمر ، يا عمر ، حسن ،يا احمد حد فيكوا سامعني . مش وقت هزار والله. انا بدأت اخاف بجد. وعرفت خلاص انى بخاف اكتر منكم. حد يرد عليا .انا عايز أخرج من هنا. بدأت اعلى صوتي. وازعق فيهم عشان حد يرد عليا محدش بيرد عليا.

زادت حينها الحركة من حولي، وتزيد معها الهمسات أكثر وأكثر، أصبحت أدور حول نفسي كالمجنون. وعزمت أمري أن اتحسس طريقي للخروج من هذا الجحيم، لكن من العدم ظهر نور من بعيد عند بداية السرداب. كانت خطوات هبوطهم علي سلم السرداب واضحة أكثر من شخص، لا أري ملامحهم بوضوح من الظلام. واقتربوا أكثر وأكثر تتعالي معهم ضحكاتهم وتظهر ملامحهم التي أعرفها جيدًا. ها هم أصدقائي قد أتوا لنجدتي. ظننت لوهلة انه مقلب مُرتب بإحكام ، وظللت أنادي عليهم بعنف وأوبخهم ، لكنهم لم يجيبوني، وتعالت ضحكاتهم أكثر واصبحوا يتأملوا الجدران في انبهار تام. واقتربوا أكثر وأصبح كلامهم عن الكنز أكثر وضوحًا. وأصبحت وجوههم في وجهي مباشرة وبالتحديد وجه أحمد، حتي مر من خلالي كطيف أبيض شفاف. حينها أدركت أنهم أموات وإنني لا زلت وحيدًا. ادرت رأسي للخلف تتبعهم عيني وقلبي ينبض بسرعة أكبر. ورأيت حسن قد تعثر في احدي الجثث. نظروا جميعًا لأسفل وفزعوا.

وبدأ عمر يقول: ده مش مجرد سرداب . دي سرداب سحري شبه المقبرة الجماعية. لمح كفن ظهر خارجه انه نظيف عن الأخرين كأنه كفن جثة جديدة لم تُفتح بعد. فتح الكفن في تردد وفزعوا للمرة الثانية . عندما قال حسن : ده باهر اللي كانت دفنته أمبارح الصبح. لم ينتهوا من صدمتهم حتي سمعنا صوت أقدام تخطو على السلم.

و ظهر رجل كبير السن يقترب عمره من الخمسين ربما أقل لا أجيد التخمين أحيانًا.

بصوت خشن متعجرف قال: لو مكانك مقربش من حاجة. الاموات مبيحبوش اللي بيزعجهم. زي ما أنتوا بتعملوا ، وفعلا انتوا عفاريت زي ما بيقولوا أطفال شجعان. بس غلطوا انكوا دخلتوا الأوضة دي. والسرداب ده مش مجرد سرداب فيه أموات. ده حاجة أكبر من خيالكوا ومن الألعاب اللي أنتوا بتلعبوها في المقابر.

بدأ يقترب أكثر وهو يقول: كنتوا مفكرين اني مش عارف انكوا جايين النهاردة. كنت عارف وسايبكوا عشان تنالوا جزاء فضولكوا، وصدقوني القرابين بتاعتكوا هتعجب الاسياد أوى.

-عمر: قرابين !! .. انتا مش هتقدر تعملنا حاجة. لان وقتها هنفضحك في كل حتة وهنقول انك بتستخدم الاموات في السحر وانك بتنبش في المقابر.

علا صوت ضحكاته بعد كلام عمر ثم بدأ في التمتمة بكلام غير مسموع، لم أستطع معرفة ماهية ما يقول. وبدأ بعدها الاموات في النهوض، واستيقظت الاكفان وبدأوا في الارتفاع عن سطح الأرض. يطيروا بدون أجنحة ويهرول أصدقائي للخروج والنجاة من الموت المحتوم. أما أنا أصبحت محاصر بالعشرات منهم في ثانية. وفي وهلة رأيت اللمبة التي نزلوا بها انطفئت، ليعود الظلام

مرة أخري وأنا لا أستطيع الفرار. وبدأت تتعالي صوت ضحكة مندور أعلي وأعلي ، لتختفي كل تلك الأكفان الطائرة من حولي ويختفي مندور ويختفي أصدقائي.

عندما هممت بالخروج لم تتحرك رجلي، أصبحت ملتصق بالأرض، لتظهر أمامي كائنات سوداء ،كبيرة الحجم، قوية البنيان، كثيفة الشعر، يعلو رؤوسهم قرنان ، أيديهم طويلة كالقرود ، وأسنانهم مدببة كالكلاب، وعيونهم مشقوقة طوليًا كالقطط ، جميعهم عيونهم حمراء . بدأوا في قول:

" سيتم العهد بتقديم القربان الرابع ، آخر قرابين العهد وأنقاهم " تتردد الكلمات بصوت منظم ومخيف. علا صوتهم أكثر وأكثر:" ليتم العهد .... ليتم العهد... ليتم العهد" رفعت يدي لوضعها علي أذني من شدة صوتهم . حاولت تذكر أي شيء حينها من القرآن الكريم ، ولكني كنت كمن مُحيت ذاكرته .

رأيت واحد من تلك الكائنات يقترب مني، ومسك ذراعي بإحكام بأحدي يديه والأخرى غرز ضفائره بيدي ، وبدأ يُسطر كلمة لم أتمكن من قرأتها من شدة دمي المتسرب، وشعرت بثقل في رأسي وفقدت حينها الوعي.

عندما كنت فاقدًا للوعي ، رأيت نفسي أقف في مكان فسيح جدًا ، نوره خافت نسبيًا كظلام الأرض بعد آذان المغرب. وامامي طيف

أبيض مُمدد في الهواء كالنائم علي وسادته، كنت أنا ذلك الطيف بملامحي بكل تفاصيل جسدي، مغمض العينين. لا أعلم ما هذا؟ لكني حينها ظننت أنها روحي ، وأنني قد فارقت الأرض والحياة، وبعثت لأعيش في البرزخ . وفي وهلة بدأت تطير روحي من أمامي وظللت أعدو ورائها ك ألحق بها، لكنها في كل مرة كنت علي وشك ذلك كانت سرعتها تزيد أكثر، وكأن اللحاق بها سيُعيدني للحياة مرة أخري. وبينما أنا أعدو خلفها في الفراغ الفسيح ، سمعت من يقول: " كل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس . من شر الوسواس الخناس .الذى يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس." وقفت موضعي أبحث عن مصدر الصوت، ليس هناك بشر ، وسمع الصوت مرة أخري يقول : آدم قول ورايا. بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين

رديت بابتسامة تعلو شفتاي وضحكة نجاة: أنا سمعك ... سمعك. وبدأت أقرأ بعده :"بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين.....

حينها سمعت صوت أعرفه جيدًا . كان صوت أبي يقول : الله أكبر...الله أكبر... كمل يا آدم كمل.

بدأت أُكمل قراءة الفاتحة . وبعين شبه تري(مزغلله) وعلي صوت قرآن الفجر رأيت غرفتي مرة أخري وهي تعج بالكثير من الرجال.

وعندما وعيت جيدًا، سمعت نفس الصوت الذي سمعته سابقًا، عرفت لاحقًا أن صاحب هذا الصوت يدعي الشيخ إبراهيم. كان يقول: حمد الله بالسلامة يا بني، أتكتبلك عمر جديد، بس لازم تقرب من ربنا الفترة دي وتدعي انه يحفظك من شرهم.

اومئت رأسي بالموافقة.

- أبي: شايفني يا آدم، عارف مين اللي بيكلمك.

اومئت رأسي بالإيجاب، لم أستطع الكلام.

- أبي: شكرا ليك يا شيخنا علي تعبك معانا، والف شكر ليكوا يا رجالة. نردهالكوا في الأفراح أن شاء الله.
- الشيخ: شكر علي أيه بس احنا أهل، المهم يصلي ولو ينفع يقدر يصلي الفجر يصليه حتي لو في البيت.

شكر أبي الشيخ إبراهيم مرة أخري وذهب مع الحاضرين ليوصلهم للباب. ورأيت أخي يقف أمام باب الغرفة وينظر لي بخوف. أقترب بخطوات بطيئة عندما نديت عليه ولا يخاف.

قولت له : انت واقف بعيد ليه يا آسر؟ .انتا خايف منى؟!

- بدأ في التهته وهو يقول: .ما أنتا كان شكلك يخوف . ومكنتش آدم كنت واحد تاني غريب ومخيف.

- متخفش منى يا آسر. انا اخوك . أنا دلوقتي كويس. احكيلي ايه اللي حصل ؟. وازاي جيت الشقة ؟

- رد وقال: انتا كنت في الشقة اصلا. انت....

عاد أبي للغرفة مرة أخري فأغفر آسر أن يسكت. ساعدني أبي كي أتوضأ وأصلي الفجر كما أخبره الشيخ.

في اليوم التالي كانت رأسي تعج بالأسئلة الكثيرة التي تحتاج إلي إجابه، ولن يُجيبني عليها سوى أخي، لأن أبي رفض أن يحكي ما حدث، وأخي أيضا كان يرفض حتي أصريت عليه بأن يقص ما حدث. سأخبركم ما قاله بالتفصيل. قال:

أمس عندما ذهبت لأصدقائك غلبني النعاس ودخلت لغرفتنا لأنام. وبعد فترة لا أعلم مقدارها استيقظت علي صوت تحطيم باب. فزعت من نومي وخرجت مهرولًا خارج الغرفة لأجد أبونا يكسر باب الحمام. أستطاع كسره وعندما فُتح الباب كان الحمام ممتلئ بالبخار الشبيه بالضباب. وزجاج مرآة الحمام مُهشمة ، والقطة التي كانت بالبيت مذبوحة . ويدك مليئة بالدماء ،وأحداهما مكتوب عليها رقم أربعة. كان منظر بشع جدًا يُشيب له الشعر. حملك والدك خارج الحمام ، وبدأ يصرخ عليك كي ترد ولم تكن تُجيب، فمك ممتلئ برغاوى بيضاء، عينك مفتوحة ومبرق ، أعصابك كلها مشدودة

كأنك في حالة تشنج. والدك أستنجد بالكثير من سكان العمارة والشارع، وأخذناك إلي المستشفى.

قاموا بمسح الرغاوى من فمك في العربية ، وكنت تنظر يمينًا ويسارًا بطريقة مخيفة ، أرعبتني أنا شخصيًا، وبدأت تخربش في أي شخص يمسك بك. وعندما وصلنا إلي الاستقبال في المستشفى أصبحت تصرخ بطريقة هستيرية ودخلت في حالة صرع لدرجة أن أربعة رجال مسكوا بك. قام طبيب بإعطائك حُقنة مهدئ، عالج أصابع يدك المجروحة ، وقال لنا انه لا يستطيع مساعدتنا أكثر من ذلك وأن تلك الحالات لا تُعالج في مستشفى.

عدنا بك إلي البيت، ونحن في طريقنا رأيت مشهد لن أنساه مهما حييت، عندما نَادي عليك والدك، كنت تنظر له وكأنك لا تعرفه ، تنظر بطريقة مرعبة ويخرج من فمك صوت أجش مرعب. عندما وصلنا البيت حضر الشيخ إبراهيم. قمنا بإدخالك الغرفة ، وأمر الجميع بالخروج ولم يبق معه سوى ثلاثة رجالٍ كان من ضمنهم والدك. خرجنا جميعا ووقفت بجانب الباب من الخارج كي أسمع ما يدور بالداخل. في بداية الأمر كان الصوت منخفض ولم أستطيع سماع ما يحدث، ثم بعدها سمعت صوت يصرخ ويتكلم بصوت أجش غير مفهوم. كان من بين الكلمات التي عرفتها" ده قرباني الرابع" كانت تلك الكلمات تتكرر كثيرًا مرة بصوت شاب وأخري بصوت طفل حتي سمعته يقولها بصوت يشبه فحيح الثعابين.

فُتح الباب من الداخل، كان الشيخ إبراهيم طلب مني زجاجة مياه، ودبوس أو إبرة. أحضرت ما طلبه الشيخ وطرقت الباب قبل فتحه وسلمته المطلوب، وبينما أنا أسلمه رأيتك عينك حمراء تمامًا لا يوجد بها بياض العين. كان والدك مُمسك بقدميك ، والرجلين الآخران كلا منهما مُمسك بيد من يديك. بعدها سمعت الشيخ بدأ يقرأ اجزاء من القرآن الكريم بصوت عالي. ويعلو صراخك كلما قرأ الشيخ وتقول: سوف أقتله ، لا نجاة من العهد، سيأتي غيري الآلاف لكي يتم العهد.

- الشيخ بدأ يقول: هتخرج ولا أحرقك ؟

لم أكن أدرك ما يقوله الشيخ، وكيف سيساعدك إذا قام بحرقك.

حتي بدأ في ترديد بعض الكلمات بصوت عالي لم أحفظها كاملة:

أقسمت عليكم معشر الجن، أقسمت عليكم أيتها الأرواح السفلية والروحانية بالرب العظيم يحيي العظام وهي رميم، اجيبوا باسم الله العظيم الأعظم، واهبطوا علي الملوك الأرضية واتوني طوعا لا كرها ثم قال بعض الكلمات الغريبة لا اعرفها وختم بجملة لم انساها كانت اجيبوا واطيعوا وان لم تفعلوا ما امرتكم به تولتكم ملائكة العذاب بالشهاب الثاقب ولا يرحمون أعناقكم ، افعلوا ما أمرتكم به الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة"

وبعدها بفترة قصيرة خرج شخص من الغرفة، واخبرنا انك استعدت وعيك وانك بخير. هذا كل ما حدث.

اجبت : ازاي كل ده حصل ، انا يدوب اللي فاكره ميكملش دقيقة. ازاي عدي كل الوقت ده . وازاي كنت فاتح عيني ومش شايفكوا؟!

- انا مش عارف انا كمان. كانت ليلة غريبة.
- خلاص ، أنا هقول لأبوك أصلا نسافر بكرا الإسكندرية. من أول ما جينا هنا وكل اللي بيحصل مش طبيعي.

ذهبت بعدها إلي المسجد لتأدية صلاة العصر، ولكي أستفسر أكثر عما حدث.

- انا: السلام عليكم يا شيخ إبراهيم.
- وعليكم السلام يبنى.
- انا.....
- عارف انتا عايز ايه . بص يبنى انا هقولك عشان احزرك برضو، لأن لازم تعرف الحكاية كلها.
- تحذرني من ايه !
- بص يبني من سنتين وفى نفس اليومين دول . كانت البلد بتمر بأصعب حاجة حصلت. ثلاثة شباب من سنك كل يوم كان منهم واحد يموت ، كل الأدلة عند الحكومة بتقول دي

حالات انتحار. وكل الناس صدقت ده فعلا. وخصوصًا أنهم كانوا أصدقاء فاقتنعوا بكلام الحكومة.

- تقصد ان اللي ماتوا كانوا عمر واحمد وحسن صحابي.
- بالظبط كدا هما دول ، ماتوا من سنتين . كانوا ضحية قرابين لملوك العالم السفلى. المشكلة مش في كدا . المشكلة ان في الذكرى السنوية بتاعتهم . كان فيه واحد ظهرت عليه نفس الأعراض بتاعتك اللي حصلتلك. وساعدناه وبقا كويس. وحكى اللي حصله وعن السرداب ومندور وعن القرباان الرابع اللي ناقص عشان يتم العهد. عرفت بعدها أن مندور كان عامل عهد شيطاني أن يقدم أربع قرابين بشرية مش عارف مقابل أيه بالظبط. بس واضح انها حاجة كبيرة أوى. المهم روحنا للمكان اللي الشاب ده وصفه مكان الأوضة وبدأنا نحفر ملقناش حاجة. والاهالي بدأت تعترض انهم يحفروا اكتر من كدا عشان المقابر وحُرمتها. وكان صعب نحدد مكان السرداب أصلا لان الأوضة كانت مهدودة. مندور هدمها قبل ما يموت بأيام. واكيد لو كان فيه سرداب زمان مندور ردمه قبل ما يموت كمان.
- مندور مات ؟ والشاب ده فين ؟

- ما هو ده اللي بحذرك منه ، مندور والشاب تعيش انتا يبنى. مندور بعد موت التلت شباب باقل من شهر لقوه ميت في الشقة . بمنظر مرعب وعيون مبرقة على الآخر وفاتح بوقه كأنه شاف منظر محدش يقدر يستحمل يشوفه. اما الشاب انتحر رابع يوم من اللي حصله. او بمعنى اصح كان القربان الرابع اللي مندور ملحقش يقدمه. ودا اللي خايف انه يحصلك انتا كمان .
- انا رديت وقولت: يعنى ايه؟! .. أنا ممكن أموت زيه. مش انا بقيت كويس!!
- لا انتا لسه مش كويس . لان اللي كان عليك ده متحرقش. هرب وهيحاول يرجعلك تانى ومش هو لوحده دا عشيرة كاملة مستنيه القربان الرابع. . علطول شغل سورة البقرة يوميا وخصوصا الفترة الجايه. ربنا يحفظك يبنى من شرهم. ويحفظنا جميعا. انا لو أعرف أخلصك من المصير ده مش هتأخر ، بس ملناش غير إننا ندعي ربنا ينجينا.

تركت الشيخ وأنا أشعر بالضيق أكثر وأكثر، لعنت اليوم الذي خطت قدمي تلك القرية اللعينة ، لعنت نفسي التي تهوي الخروج من المنزل. أخبرت أبي بأننا يجب أن نرحل، لم يعترض نهائيًا. وذهبا إلي محل مولدي، المكان الذي أعشقه، المليئ برائحة أمي الفانية،

ذكرياتي معها. أصبحت سورة البقرة هي الصوت الأساسي في المنزل، اواظب في تأدية صلواتي كاملة.

أما اليوم هو اليوم الرابع، لا أعلم أن كنت أستطيع العيش أم لا، فأنا أشعر بأنفاس من الجحيم تحوم حولي، الإضاءة لأكثر من مرة تُغلق من تلقاء نفسها ، هناك من ينبش في جدران الغرفة بصوت احتكاك مخيف. أظن أنه قد حانت اللحظة ، لقد توقفت عن الكتابة لكي أفتح باب الغرفة لكنه لم يُفتح. استغثت بأبي لكنه لم يستجيب أيضا. الغرفة تزداد سخونة، وغبار أسود يدور في دوامة في منتصف الغرفة، خرج منها كائن مخيف وعملاق، يُش.....

لا يوجد تكملة، ذهبت إلي نهاية المذكرة كما أخبرني لأقرأ التنويه المكتوب.

تنويه إلي من يقرأ مذكراتي هذه الآن، ويحتضنها بين أنامله، تستنشق أنفه القليل الباقي من رائحتي الفانية. أستمع إلي نبرات صوتك الآن ، أشعر بقلبك قد زاد معدل نبضه، تقف روحي السعيدة بجانبك. سأكون حينها قد اجتمعت بأمي، وهذا يكفي لأنعم بالسعادة – السعادة الأبدية – تحوم أرواحنا فوق غيوم السماء ، ونسمع أحاديث الأحباب، كما أستمع لكلامك الآن.

(3)

هرولت إلي أسفل لأعرف سبب التجمع الهائل لأهالي الشارع. فهم لا يتجمعون هكذا سوى في المصائب . رأيت النساء تصرخ والرجال توحد الله – الواحد الأحد – ومن بين أصواتهم تعرفت علي صوت أبي يأتي من الصفوف الأمامية. اخترقت الصفوف بصعوبة كان الكل يمسك بي كي لا أصل للأمام، الجميع يحثني ان أبتعد. وحين وصلت تمنيت لو كنت استمعت إليهم.

أبي يجلس تغلبه دموعه، خانته أعصابه أن يقوي علي الوقوف، بجانبه جثة مراهق صغير مُغطي بملاءة. لم أحتاج إلي التفكير لكي أعرف أنها تخص أخي الكبير آدم. كشفت عن جسده لكي أراه ولو مرة أخيرة. فإذا بي لم أتعرف عليه من كثرة الدماء التي تغطي كامل جسده. كل التقارير الطبية أثبتت أنها حالة انتحار. لا أعلم لماذا ينتحر أخي؟. ربما كان خائف قليلًا، لكنه لا ينتحر لهذا السبب.

انتهينا من تصريح الدفن وسار موكبه لقبره، وسط دعاء الجميع له بالرحمة والسماح مما فعل، أما أنا كنت متيقن أن هناك سبب آخر لموته لكن دموعي وصدمتي لا تصلح للتفكير في تلك

اللحظة. عندما انتهينا من توديعه داخل قبره، وأخذنا عزائه الحزين، ذهبت إلي غرفتي وعيني مكللة بالدموع، فلم أجد سوى ذلك الكتيب الذي عثرت عليه أسفل سريره لكي يهون علي قليلًا. فتحت خزانة مكتبي وخرجت الكتيب، وبدأت في قرأته لتكتمل الصورة أمام عيني. لقد قُتل أخي بسبب تلك اللعنة التي لم تنتهي، لم يخبرنا عن موضوع القربان الرابع الذي حدثه عنه الشيخ إبراهيم. هرولت لغرفة أبي واعطيته الكتيب، أدرك أنه يجب تلبية ما أراده أخي وهي معرفة كل الناس. تحركت الحكومة في البحث عن موضوع اللعنة والسرداب، وأكدت أنها ستنهي الحكاية للأبد.

اقتربت السنوية الأولي علي فراق أخي والجميع ينتظر علي أحر من الجمر اليوم الذي سيبين هل انتهت اللعنة أم ستبقي خالدة للأبد!.

تمت بحمد الله

محمود السقا